من البرج العاجي

تلك الورقة البائسة!

فـــــوزي كـــــريم

أحد المقربين ممن أطمئن للحوار معه قال لي بطريقة بدت لي حاسمة تماماً: لمَ لا نفكر حقاً بدور المثقف في هذا المنحدر العراقي الدامي؟ دعك من أطروحات برامج الثقافة في التلفزيون والصحافة التي تبدو لي جاهزة، رغم التنوع الظاهر في الاجتهادات. ما هو دوره حقاً؟

قلت له بارتباك: ولكن من هو المثقف أولاً؟ عادة ما نعني به مثقف الأدب وحقوله الخيالية. ولكن كثيرا ما ندرج معه المفكر السياسي، ومفكر العلوم الاجتماعية، التاريخية، النفسية، الفلسفية...الخ. وفي هذا الإدراج سر ارتباك موضوعك جملةً. تحديد مفهوم المثقف أمرٌ مستعص، ولكن فرزَ هذه الحقول أمرٌ ممكن. وأحسب أن هذا الفرز ييسر مهمةَ تحديد دور كل نوع من هؤلاء المثقفين على حدة. فلم لا نشرع بهذه المهمة في البدء. أنت تعرف أن الشاعر مثقف من طراز خاص، بسبب التباس لا حل له في معنى فاعليته، قياساً الى الفاعلية الواضحة التي يتمتع بها عالم الاجتماع وعالم السياسة. والمعرفة بالطبيعة الملتبسة في فاعلية هذا الطراز الخاص تجعلنا نعرف بالتالي حدودها، وسبل الانتفاع منها. إن مطالبةَ مجموعة من الشعراء وعلماء الاجتماع بعمل هادف مشترك ستبدو مطالبةً عابثة، لا تطمع بأكثر من مشهد مؤثر لا قيمة فعلية له. دعوة كهذه، ألا تبدو لك ذات جذور ترتبط بفاعلية "المظاهرة الجماهيرية" التي ابتكرتها الأحزاب السياسية؟ فاعلية تهدف الى إثبات حضور. والى تحجيم هوية الفرد الى مجرد رقم مكرر لا تتحقق قيمتُه إلا تحت اللافتة أو الشعار الذي يمثله؟ المحزنُ أن هذه الصيغةَ في فهم العمل المشترك داخل عالم الثقافة البالغ الحساسية، هي التي جعلت الشاعر، منذ مراحل شيوع المعنى الشائه لكلمة "المسؤولية"، يتلبس دوراً قسرياً غير دوره، ويعالج القسرَ بتعزيات وهمية باسم المُثل. وهي تعزية لا تنتمي لصلب مهمته، التي تنتهي بعملية كتابة قصيدة على ورقة. مهمته التي تسعى بمشقة بالغة الى هذه النهاية تبدو له محرجة. بل مخزية أحياناً، خاصة إذا ما كان يعيش في مرحلة سيادة "الايديولوجية العربية" التي نعيشها منذ نصف قرن. وستقول: ولكنه، الى جانب قصيدته، بشرٌ يُحسن ما يحسنه عالم الاجتماع في القيام بمهمات مشتركة! سأجيبك بأن الأمر صحيح، إذا ما كنت تسأله الدور الذي عليه كبشر، لا كشاعر. الأمر هنا يختلف تماماً. في حملة محو الأمية يظل معلم الابتدائية أكثرَ مهارةً من الشاعر وعالم الاجتماع في تلقين من لا يقرأ كيف يكتب ويقرأ. في مرحلة حركات الإرهاب والميليشيات المسلحة يتساوى الشاعر والانسان البسيط بردود الأفعال المذعورة، والبحث عن ضمانة وأمان. وكما لا يكفُ الانسانُ البسيط عن الحياة وراء الجدران، لا يكفُ الشاعرُ عن إملاء قصيدته على ورقة.

كتابةُ هذه القصيدة هي أقصى مساعي الشاعر. الا يبدو لك بائساً؟ ولكن هذه هي الحقيقة. اقرأ التاريخ لاستقراء الشواهد: شعراء تحت رعاية بلاط، شعراء بمظاهر بلهاء في خمارات، شعراء في المعتزلات الموحشة باسم التأمل، شعراء داخل اللياقة الاجتماعية، شعراء مسلون أمام الجمهور الملول، شعراء شعث في مظاهرة سياسية، شعراء في لباس رسمي لائق على مكاتب وظائفهم،... ولكنهم جميعاً، وعلى اختلاف هذه المظاهر، يشتركون في خطيئة واحدة: هي هذه الورقة البائسة في الجيب. وكل مهمة أخرى تُناط بهم، غير مهمة الحياة، ستبدو غير عادلة. نعم، على الشاعر أن يعمل بفاعلية ذراعيه أو عقله لكسب الرزق. ولكنه لا يملكُ أن يكسبَ رزقَه بتلكَ الورقة البائسة. هذه بديهة نعرفها جميعاً. ولكن حدث أن اختُطفت هذه البديهةُ وأُخفيت. لأن تلك الورقة يمكن أن يُنتفَعَ منها في سبل غير سبلها، التي تهدف اليها بحكم طبيعتها وغريزتها. تماماً كما انتفع الانسانُ، من أجل إرضاء نزعة الشر فيه، من قناة الزرع، في بيت المتنبي الرائع:

كلما أنبتَ الزمانُ قناةً
ركّبَ المرءُ في القناةِ سِنانا

فرُكّبت للقصيدة مهامٌ دخيلةٌ ليست من مهامها ولا من طبيعتها. أصحاب الغايات النفعية الجديدة غاية في الذكاء والمهارة. انتفعوا من اللغة (الوسيلةُ المشتركةُ بين الشعر وغيره من مهمات الكلام) ففصلوا المضمونَ عن الشكل الذي تلبسها. جعلوا للقصيدة، في مشروع الانتفاع، مضموناً يمكن أن ينطوي على رسالة، وشكلاً في اللغة يبدي مهارة الفنان. أوهموا الشاعر بالقيمة المستقلة للشكل ولغته، وشغلوه بها. وصاروا مع مراحل التاريخ يعبئون المضمون بما يرونه صالحاً لرسالتهم (ومصدراً لدخل الشاعر أيضاً): قبيلة، سلطانا، حزباً جماهيرياً، عقيدة، أعراف مرحلة، مفاهيم، وكل ما يهدف الى غاية نفعية مباشرة. التاريخ كان كفيلاً بتطويع الشعراء، أو القسط الأعم منهم، وتلقينهم بأن هذه المهمات هي مصدر إنسانيتهم وغناهم وصلاحيتهم للبقاء. وهناك من ذهب أبعد مع الشكل، لا كقيمة مستقلة فقط، بل كقيمة وحيدة ومطلقة.

الشاعر الحقيقي (لا تسألني الآن عن معنى الحقيقة!) هو الذي يعرف، داخل خيوط العنكبوت، أن مضمونه لا يخرج إلا من شكله. وأن شكله لا يولد إلا من مضمونه. وإنهما وليدا معترك داخلي، هو بدوره وليد مشذب، عبر مصفاة معقدة، لمعترك مع الخارج. هل ترى أي سبيل ممكن للانتفاع من هذه الورقة البائسة، وليدة هذه اللخبطة المحرجة للإنسان الملتبس على نفسه؟!

هناك نفع عظيم صدّقني. ولكن على شرط أن تقتلعَ تلك الآفة، آفة "مسؤولية المثقف" المهورة بذكاء على طرف تلك الورقة البائسة. لا أريد أن أعطي للشعر مهمةً خطيرة، كتلك التي أعطاها الشاعر والناقد الانكليزي ماثيو آرنولد، إذ جعله بديلاً للدين، بعد زوال تأثير المسيحية. ما من فن يرتقي الى مصاف التأثير الديني. ولكن بعد اقتلاع آفة "مسؤولية المثقف" تلك سيتحرر الشاعر من أسر المضمون والشكل. أسر مهماته الملاة عليه، ليتطلع من جديد الى أفق حساسيته وعاطفته ورؤيته، التي تتسم بالفرادة والندرة. هذا الأفقُ جديدٌ أبداً على حركة الانسان حيث يكون: يأخذ بيده الى السلم. الى ارتقاء المرتفع. الى الإطلالة التي تريه ذاته، والآخر، والحياة، والكون عن مبعدة، من أجل اتضاح الرؤية. أنت تحتاج مسافةً ما مع اللوحة الفنية لكي تتعرف على مصادر سحرها وتناغم مكوناتها، أليس كذلك؟ ولكن صحبة القصيدة على السلم، على المرتفع، إنما تنفرد برعاية فائقة التأثير على الكيان، تتمثل بالموسيقى.

هناك نفع عظيم. أنا على يقين من ذلك. استعدْ أبا العلاء، شيكسبير، دانتي، رومي، طاغور...وعشرات، مئات. ولك أن تتخيل أرضنا الأم، هذه الدوارة أبداً، وهي خالية من تلك الورقة البائسة في جيوبهم.

أيةُ ريح سموم، ضارية!!

وفاة الملائكة وسؤال الثقافة عن مستقبلها

مؤسسة (المدى) مشروع مستقبلي لثقافة ديمقراطية

بـرهـان الـطـويـل
بـــــابـــــل

للعراقيين وضعني في مساحة من الحزن والأسى، لأننا خسرنا اسما رائدا ورمزا ثقافيا استطاع بدأب وهدوء أن ينحت دوره ويؤكد على التحققات الصعبة. حيث يعتبر منجز الملائكة في التحديث والوعي به تنظيرا انتقاله مهمة جدا في التجربة الشعرية العراقية / والعربية، وكانت الكوليرا قصيدتها الأولى هي نافذة الانفتاح على تجربة فنية جديدة تماما أثرت في تحديث الشعر وتكريسه، ولا استطيع تجاهل دورها التاثيري عليّ باعتباري شاعرا، لقد تعلمت منها الشيء الكثير وعلمت طلابي خلال عقود كثيرة بالذي حققته هي واجد في منجز نازك هيمنة ظلت فاعلة ومؤثرة في الحركة الشعرية العراقية، حيث كان لمنجزها قوة الجذب وطاقة التأثير والتحفيز للمواصلة والابتكار، واعتقد بان وجود رموز مهمة في تاريخ الشعرية العراقية هو العامل الجوهري الذي جعل من التجربة العراقية متجددة ومتطورة، مغادرة سكونها من هنا تميزت عبر عقود طويلة بالغنى والتواصل الحواري وصعود أسماء إبداعية كثيرة خلال العقود التي جاءت بعد الأربعينات، ليست متأثرة نمطيا وإنما متحاورة بوعي مع المنجز المتحقق وهذا احد اسرار الشعرية العراقية وبقاء حيويتها وإشعاع جوهر الإبداع الذي مازال عراقيا ويوميء للجميع كي يتعلم. اعتقد بان نازك الملائكة حية وخالدة، لان الشاعر لا يموت لانه كائن في اللغة والشعراء يمنحون نازك بقاء وخلودا عبر تمثل وتمثيل جوهر التجديد والتحديث

ناجم المعموري: التحديث لحظة عراقية ومازال

لا يمكن إنكار الدور الذي لعبته الثقافة العراقية في التشكل الإطاري والتفصيلي للثقافة العربية، ابتداء منذ أربعينيات القرن الماضي، حيث كان المبدعون العراقيون أكثر تكونا معرفيا وحيازة لعناصر الثقافة وحاجتها المستقبلية، لذا لا يمكن تجاهل اللحظة التجديدية والتحديثية في التاريخ الثقافي وتنوعاته التي كان فيها للأدباء العراقيين دور واضح ومهم، ما يعنيني الآن ونحن نستذكر تاريخ مبدعة كبيرة مثل نازك الملائكة أن أسجل ريادتها المعروفة في تحديث الكتابة الشعرية التي أنقذتها من سجن القافية وأخذتها نحو فضاء يوفر حرية أكثر وعلى الرغم من إنها أشارت أكثر من مرة إلى ريادة السياب لكني اعتقد بأنها هي التي فتحت مجال لحظتها التجديدية في الثقافة، لأنها – نازك الملائكة –توفرت على معرفة بعناصر التحديث الشعري ورسمت له فضاء ثقافيا في كتابها قضايا الشعر المعاصر تضمن آراء لها في مجال الشعرية التي ارتبطت في صورتها الجديدة مع العراق وتكرست فيه عبر انجازات عدد من رواد التجربة الشعرية الجديدة مثل الملائكة/ السياب/ البياتي / الحيدري/ سعدي يوسف وكان دور هذه الأسماء واضحا في تحقيقات المنجز الإبداعي الذي وجد من يدعمه في مصر مثلا على يد علي احمد باكثير ولويس عوض كما لابد من الإشارة إلى إن مرحلة الأربعينيات أو نهايتها هي اللحظة التي شهدت تحولات الثقافة والإبداع العراقي وتنوع الحوارات كما حصل مع جواد سليم وجماعة بغداد في الحوار مع الجنود البولونيين، حيث شهدت الحركة التشكيلية انتاجا جديداً كذلك في السرد عبر انجازات قليلة لكنها كانت كافية لتأشير التحول في كتابات عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي وشاكر خصباك وفي لحظة الإحساس بالحزن لفقدان الملائكة، أسجل إعجابي بما أنجزت، على الرغم من إني خارج إطار التجربة الشعرية واجد بان المناسب تسجيل ريادتها من اجل المحافظة على حضورها المشع الذي سجل لها وللعراق دورا في الابتكار والإبداع.

موفق محمد: تعلمنا منها الكثير

وقال الشاعر المبدع موفق محمد إن وفاة نازك الملائكة في زمن الموت الجماعي

ناجم المعموري

والاستجابة السريعة لتحمل نفقات العلاج، ومبادرة السيد رئيس الجمهورية جلال الطالباني ودولة رئيس الوزراء السيد نوري المالكي للاهتمام بها. ومشاركة من يمثلهما في التشييع الذي وضع العراق شعبا وحكومة في مشهد آخر مختلف عن مشاهد الموت والقتل اليومي المصدر إلينا من الخارج ونقول عبر ذلك للعالم كله بأننا أكثر احتفاء بالحياة عبر رموزها الحية، ونحن أكثر استعدادا لتمجيد التاريخ الحقيقي للإبداع الذي سجله الأدباء والمثقفون، وما يحصل الآن في العراق غير قادر على تعطيل تعاطيات الشعب مع الثقافة والفكر.

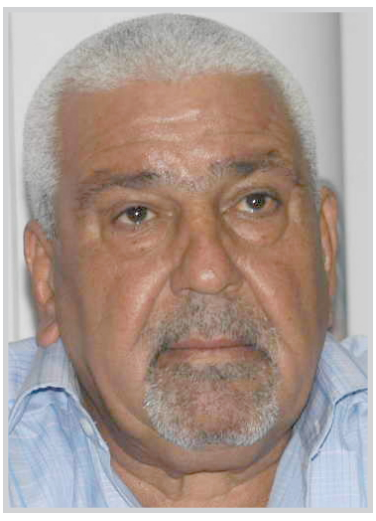

موفق محمد

إقبال محمد: المدى مؤسسة الأتي

قال الكاتب إقبال محمد عباس بان مبادرة مؤسسة المدى للثقافة والفنون والإعلام لإعلان الحزن والأسى على وفاة الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة يمثل معطى لمشروعها الحضاري في مجال الثقافة حيث مشروع الاهتمام المتنوع بالأدب والفن. ولم يكن غريبا علينا ذلك منذ لحظة وجود هذه المؤسسة في العراق بعد سقوط النظام السابق، حيث نهاراتها التي زاحمها ظلام الإرهاب، وحتما ستشرق قريبا ومرة أخرى، كذلك أسابيعها الثقافية التي أسست مشروعا وطنيا ديمقراطيا في الثقافة العراقية وحتما سيكون مستقبله مشعا ومشرقا. ولابد من الإشارة لمواقف الأدباء والمثقفين في بابل والمعبرة عن الامتنان لمبادرة المدى بإقامة مجلس عزاء خاص بالملائكة حيث ينطوي هذا الفعل على اعتراف بدور المبدعين والتأكيد عليه وقد ذهب الزمن الذي كان فيه المثقف قريبا من السلطة وما يعطيه لها

المدى ذاكرة الحاضر والمستقبل

وعبر الفنان علي عبد الجليل عن اعتزازه بمبادرة مؤسسة المدى بإقامة مجلس عزاء خاص بالراحلة نازك الملائكة حيث ينطوي هذا الموقف على قيم اعتبارية هي وليدة مرحلة سياسية جديدة ومختلفة تماما وما حصل ليس غريبا لان المدى هي أول من حاول وضع مشروع وطني ديمقراطي للثقافة والمعرفة. وهي أول مؤسسة غير حكومية قدمت عونا ودعما للأدباء والمثقفين والفنانين عبر صندوق تنميتها الثقافية

وبالقدر الذي آثار موقفها الاعتباري بوفاة الملائكة آثارنا أيضا اهتمامها بالمشروع المستقبلي بثقافة العراق وهي تدرك جيدا بان الثقافة لها دور فاعل في تحقيق التنمية البشرية والجمالية، وهي التي تقترح اصطفافات جديدة اجتما –ثقافية،ستكون قادرة على حماية العراق وصيانة هويته وتاريخه الوطني.

د. عبد الإله أحمد .. إطلالة على سيرة حياة وريادة

مراجعة: باسم عبد الحميد حمودي

تعد دراسة د. عبد الاله احمد (نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨-١٩٣٩) التي صدرت عام ١٩٧١ من الدراسات التحليلية الهامة في نقد القصة العراقية الحديثة رغم وقوفها عند بدء مرحلة الحرب العالمية الثانية.

كشف الناقد الشاب (يومذاك) عن امكانية واضحة وجادة في متابعة النشاط القصصي العراقي في بواكيره وعن قدرة على البحث والاضافة وتقسيم ابواب وفصول دراسته هذه الى ما يمكن ان يكون تجديداً في البحث النقدي.

ناقش عبد الاله احمد دراسته هذه التي قدمها الى جامعة القاهرة خريف عام ١٩٦١ لنيل شهادة الماجستير وقد اشرفت على البحث د. سهير القلماوي وشارك في مناقشته د.عبد الحميد يونس ود.شكري محمد عياد، ومجموعة المناقشة يومذاك من كبار اساتذة النقد في الجامعة وفي النشاط الثقافي العام بمصر، والمرء هنا لا بجهده فقط بل بمناقشيه وبالمشرف عليه، فطلبة الدراسات العليا (يتباهون) باساتذتهم ومشرفيهم، لكن عبد الاله احمد –رحمه الله- لم يكن من صنف المتباهين باحد بل من الباحثين الجادين الذين اعتبروا مسألة البحث العلمي قضيتهم الاساسية طوال حياتهم كما ان شغفه بفن القصة واحترامه لجهد المبدعين وادراكه حجم الالم الذي سببه عبور المبدع المثقف من ضفة الخطابة والشعر والمقالة العادية الى ضفة الابداع القصصي قد تطلب الكثير من تغير البنى الثقافية وتحويل السالفة العادية الى بنية ابداعية فيما سقط او تلاشى جهد كثيرين حسبوا على فن القصة دون ان يكونوا جادين في عملهم، فيما ظل جهد اخرين ممن دخلوا باب القصة لمجرد الاستمتاع او ركوب قارب "الصيحة" الثقافية وكانوا متمكنين الى حد دون ان يستمروا في تطوير الاداة منصرفين الى اعمال اخرى مما سبب ضياع مواهب ومبادرات حسب عبد الاله احمد في كل (نشاة القصة) هذا انه كشف لنا عن جهد الاستاذ عطا امين باعتباره رائداً من رواد القصة في بنيتها الاول (قصص الرؤيا) في نشره قصة (كيف يرتقي العراق) في مجلة دار السلام سنة ١٩١٩ وفي غيرها من امكنة النشر القليلة.

وعطا امين مثقف عراقي لم يسلط الضوء عليه الا عبد الاله احمد فقد كتب عنه وحلل قصصه القليلة وبشر به لكن (عطا) هذا ابتعد عن درب القصة الى درب الوظيفة والوجاهة فقد تزوج من اخت للملك فيصل الاول دون ان تعترف العائلة المالكة بهذا الزواج الا بعد فترة، وقد مكنه هذا الزواج اضافة لثقافته وقدراته من دخول وزارة الخارجية العراقية والعمل دبلوماسياً في اكثر من دولة فابتعد عن دنيا الادب الى دنيا اخرى، ولعل كتاب السير يتابعون يوماً شخصيات عراقية اخرى من امثاله ممن اثرت على الحركة الثقافية ثم ابتعدت عنها الى دنيا اخرى مثل حسين الرحال – جزمي سليمان- يونس السبعاوي- سلمان الصفواني القطيفي- عبد القادر اسماعيل وسواهم.

المهم هنا ان عبد الاله احمد لم يكتف بـ(نشأة القصة) جهداً فقد صنع لنا باكورة مهمة في فن الفهرسة والارشيف وهو كتاب (فهرست القصة العراقية) الذي رصد فيه ما نشر من قصص في الصحف والمجلات حتى سبعينيات القرن العشرين اضافة لرصده للمجاميع القصصية والراويات.

ورغم ما شاب هذا الفهرست من نواقص استدرك عليها اساتذة من امثال ياسين النصير وصباح نوري المرزوك واحمد فياض المفرجي وعمر الطالب وساهم كاتب هذه السطور في الاستدراك الا ان عمل الفهرست يظل رائداً في بابه.

وكان على عبد الاله احمد ان يستكمل جهده النقدي وبحوثه فاعد دراسته عن القصة العراقية بين الحربين بجزئين كبيرين كانا قوام رسالة الدكتوراه الخاصة به ثم تبعه بكتاب اخر عن القصة ونقدها وعن القصص المترجمة التي اسهمت في تغيير الذوق الابداعي عند المبدع العراقي، اضافة الى بحوث متعددة في الحلقات الدراسية التي اقيمت هنا وهناك.

وضع عبد الاله احمد مقدمة لـ(نشأة القصة) شرح فيها صعوبات عمل من هذا النوع والكم الهائل المبعثر الذي وجده من نصوص ثم خصص الباب الاول للمحاولات البدائية لفن القصة في العراق منذ بدء ممهدات النهضة في القرن التاسع عشر وتيارات ذلك القرن الثقافية مروراً بمقامات ابي الثناء الالوسي وصولاً الى محاولات عطا امين الرائدة مطلع القرن العشرين.

وكان الباب الثاني عن (القصة بين الحربين) العالميتين ومضامين القصص العاطفية والاجتماعية واتجاهاتها الرمزية والتاريخية والساخرة وكان الباب الثالث تطبيقياً بعنوان (قصاصون) تناول في البحث فيه قصص محمود السيد وانور شاؤل وذا النون ايوب وعبد الحق فاضل فيما تضمنت الخاتمة ملاحق مهمة جمع فيها نصوص لابرز القصاصين من قصاصي الرؤيا والقصص البدائية ونماذج من قصص محمود السيد وغيره يوم لم تكن قد صدرت عن السيد أو سواه بعد وفاته عام ١٩٣٧ اية نصوص ثم تبع ذلك بفهارس أولى القصص والروايات التي درسها وبالمجلات والصحف العراقية التي نشرت هذه القصص وبذلك كان (نشأة القصة) وثيقة تاريخية نقدية تحليلية رائدة في دراسة القصة العراقية وحسب فقيدنا الكبير انه فعل ذلك.